

ليس وليد حرب أكتوبر ، وإنما وليد سنوات طويلة من الهزائم المريرة . بل انه يعتبر سببها الرئيسى . انه الاستهتار بأدمية الجندى وعقليته وتدريبه ، وتغليب المتعة الخاصة على كل ما من شأنه تحقيق النصر . وقبل الحديث عن هذا السبب ، علينا أن نتحدث عن ضحايا الحرب ممثلين فى شهيد من شهدائها .

تربى الشهيد مع راوى القصة . كانا يذاكران على طبلية واحدة . اختار الكلية الحربية فتخرج بعد عامين . تألفت فوق كتفه نجمة . بعد فترة حمد الله أن صديقه لم يغير اتجاهه مثله . وعندما يسأله الراوى عما اذا كان يشعر بالندم يقول : « لم يعد هناك وقت للندم » . ومنذ استشهاده وطيفه يطارد صديقه . بعد « الثغرة » نكس الجنود رؤوسهم وقرروا لعب الورق « يلتمسون به أماناً مفقوداً » . ورغم ضجيجهم كان يأتيه صوته « عاويا » . يرى فى نظراته عتاباً قاسياً « ماذا فى مقدورى أن أصنع وأية آمال الآن ، وقد فقدناك الى الأبد » . ويتسلل اليه وجهه من خلف ظهور لاعبي الورق : « قال لى اننى قد خنته .. تركت الصقور تنهش لحمه .. حاولت أن أنهيه عن اتهامى الدائم .. قلت له لم يكن الأمر بيدي .. » . بكيت يوم جاءتنى الأخبار بموته فى العراق .. بكيت أيامنا وأحلامنا المسفوحة .. صرخت فى السماء .. ليس الذنب ذنبى .. » . والحديث عن الشهيد يزيد من هول المفاجعة .

منذ البداية نشعر بالهرجلة المفروضة على حياة الجنود : « فى سرعة ارتديت البيادة الكبيرة .. أشعر بأصابع قدمي تسبح فى فراغها » . والراوى يقضى فى التدريب أياماً « كثيفة » يتمنى أن تنتهى . فمحاضراتهم عن وسائل الدفاع وسرعة الانقاذ « سمجة » لا معنى لها . ثم انه لا يدرى لماذا ينظر اليه الضابط « صاحب العينين الجهمتين » بحدة . ويصر على تأدية تمرينات الصباح على الكورنيش . ظهورهم للبحر ووجوههم الى البيوت المغلقة النوافذ . وكان اليوم يوماً مطيراً ، وقد تكاثرت مياه البرك حولهم ، وتسربت مياه المطر الملحية من ثقب خلفى الى الفراغ المحصور داخل البيادة ، فانكمشت قدماه ، وشعر بأنه يسبح فى البحر ملحاً ومطراً . والضابط يقف تحت تende مشرعة لأحد التواييت ، وعيناه معلقتان بنقطة هامش بيت عند استدارة ناصية الزقاق الجانبي . وعندما حول الراوى رأسه الى نفس النقطة لمح شبح لامرأة تلوح له !! ..

وتتناثر الظلال فوق رقعة هذه القصة ، وتتألف من المطر والرائحة وقوس قزح . وتبدأ القصة بتوقع سقوط المطر ثم انهمازه . وحين استقبلوا الكورنيش تصاعدت الى أنفه رائحة شئ يحترق . وكلما